تفسير الصلاة الربية

للمفريان غريغوريوس شمعون الطوراني

نشره الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

تعدّدت تفاسير الصلاة الربية على مرّ الاجيال . ولكلٍّ منها ميزة خاصة . فمنها ما جمع بين التأويل اللاهوتي والروحي ومنها ما لم يتجاوز سرد الآيات مردّدًا بعض اقوال القدامى ومستندًا اليها . فنرى اوريجانوس وكيرللس الاورشليمي وغريغوريوس النيسي ويوحنا فم الذهب ومكسيموس المعرّف يتبارون في تأدية واجبهم الرعاني بتغذية المقول بكلام الله، كلّ على طريقته الشخصية المعروفة ، فهناك امثال اوريجانوس والنيسي من لجأوا الى الرموز ومعانيها الروحية ومنهم من حلّل الآية التحليل الصافي الادبي كيوحنا فم الذهب ومنهم من وضع الآيات ازاء الآيات وفسّر الكتاب بالكتاب نفسه .

وفي العصور الاخيرة ممن قد تمثّل جزءًا الآخرين فجمع بين التفسير الروحاني وما يساعد على فهم كنه الكلام الرباني من اقاويل الآباء والكتاب الكنسيّين . فاخترنا للنشر تفسير المفريان اليعقوبي غريغوريوس شمعون الطوراني لما وجدنا فيه من الدرر الثمينة والآفاق الروحية الواسعة . وقد ينطوي تفسيره من وقت الى آخر على آراء تقتضي النقد والتحذير ، ونحن قائلون . وكان رائدنا الوحيد ان لا نحرم قراء المشرق الكرام من وثيقة هذه اهميتها . (وهذا المخطوط من محفوظات المكتبة الشرقية) .

اختلف المؤرخون في مولد المؤلف . فمنهم من جعل مولده في سنة ١٦٤٥ كشابو[1] . ومنهم من تطوّرت آراؤهم في هذا الصدد . فبعد ان قبل شيخو في كتاب المخطوطات العربية لكتبة النصرانية (ص ٥٤) رأيَ شابو ، راح يعاكسه في (الصفحة ١٢٧) من الكتاب نفسه اذ جعل الطوراني يموت في الجيل الثامن عشر ١٧٦٣ ، او في اوائل القرن التاسع عشر . ولكن المستشرق گراف اتخذ لنفسه مقرلة بين المقرلتين واكّد ان غريغوريوس شمعون عاش بين السنة ١٦٧٠ والسنة ١٧٦٠[2] .

---

(١) J. B. Chabot : in *Journal Asiatique*, t. VIII (1896) p. 274.

(٢) G. Graf : *Geschichte der christichen arabischen Literatur*, Città del Vaticano, 1951, t. IV, pp. 23-27. — Cf. اسحق ارملة : « جثالقة المشرق ومفارقة السريان » (عدد ٩٦) ، والمشرق ٢١ (١٩٢٣) ص ٦٦٣

باسم الاب والابن والروح القدس

نبتدي بتأييد الله تعالى ونكتب تفسير الصلوة الربانية الذي علّمها سيدنا يسوع المسيح لتلاميذه الأطهار . تأليف الاب المكرم ماري باسيليوس المقريان شمعون الكاثوليك اللهمّ انفعنا ببركات صلاته آمين

فلنرتلنّ مع المرتل داود النبي قايلين . جيد هو الشكر والترتيل لاسمك يا متعالي . عظيم هو ربنا وعظيمة هي عظمته . وليس لعظمة قوة الصلوة التي علّمها سيدنا يسوع المسيح لابناء سر الايمان منتهى. انكي يصلونها بايمان نقي. المخزون فيها جميع الاسرار العظيمة . اذا صلوها المؤمنون وهم بغير عيب وبايمان ثابت يرتقون الى السماء بها كالسلم . لانها اعني الصلوة تتمثل بالشجرة العالية . المتصل رأسها الى عنان السماء والمؤمنون المصلّون بها ببساطة . يجتنوا منها اثمار الحيوة ويقتاتون روحانياً . يا لهذه الصلوة المجيدة المثبتة الميلاد الثاني . المختص بذخيرة البنين . يا لشرف هذه الصلوة التي تجعل اخوة كثيرين لسيدنا يسوع المسيح . يا لعظمة هذه الصلوة الذي اذا صلّيناها بايمان ثابت تقي من شوايب الدنس والعيب بسذاجة صالحة . تجعلنا شركا لميراث الاب السماوي . ونتمتع بملكوته ابدياً . ونمدح بذلك المجد والبهاء السرمدي العديم ان يكون منتهياً الى ابد الاباد .

فنقول ان كثير من المعلمين الروحانيين قالوا في وصف هذه الصلوة الشريفة اقوالاً كثيرة . وانشأوا فيها كتباً كثيرة تكاد لا تحصى لكثرتها . وشرحوا في هذه الصلوة الجليلة شرحاً زايداً . واجتنوا بها اثماراً حلوة شهية لذيذة . واقتاتوا واقاتوا منها المؤمنون قوتاً روحياً . فترأى لي انا الضعيف الخاطي ان التقط منها عناقيداً . كمثل من يغير ورى القطافين . لاتيتُ ايضاً اخوتي بالمسيح. وما فضل من ثم اقتات به انا ايضاً . فلنتأملن الان في هذه الشجرة . في انه كيف غرس في قلبنا . ونبحر من اين تكوّنت شلوشه من حيث بعدما ترأوا . فعلى ما اظن انهم ترأوا لنا من صلوة سيدنا يسوع المسيح . حيث كان يصلي بعيداً من تلاميذه . فمن ثم سأله واحد من تلاميذه وقال له يا سيدنا علمنا كما علّم يوحنا تلاميذه . فلنتعلم ما الذي كانت صلوة يوحنا . فعلى ما لاح لي

ان يوحنا كمن فم العالم المزمعون ان يؤمنوا بالذي هو انذر بـه . كان يصليها بتضرع قايلًا . يا ربنا اله ابانا القوي. اهلنا لتكون لك بنيناً. ولابنك الوحيد اخوة فكمن لنا اباً بوساطة استماع صوتك . ايها الابن الوحيد المسجود احمل خطايانا لتكون لك اخوة . ولابيك بنيناً بوساطة لمس جسمك . ويا ايها الروح القدس اسكن فينا . لكي بوساطة رؤيا اقنومك نشترك بك . ايها الثالوث القدوس المتساوي الجوهر ترحم علينا . فهذه الصلوة كان يصليها يوحنا . حيث كان ينادم الله تعالى في البرّية . اعلم ان الثالوث القدوس افتقد يوحنا منذ ابتدايه. لانه الاب ارسل الملاك ليبشر بالحبل به . ومن حيث انه كان في البطن بعد ما امتلى من الروح القدس وحين شعر بالثالوث القدوس سأل الابن بسلامه. لان هذه الصور في القديسين بهذا المقدار كان [×] في الثالوث القدوس . حتى انه سمع باذنيه . ورأي بعينيه . ولمس بيديه . لانـه اولًا سمع صوت الآب . وثانياً رأى الروح عياناً . وثالثاً لمس الابن . فاولًا حس . وبعـد ذلك اشترك وباشتراكه اشركنا . ونحن حينما نرسم على وجهنا باسم الثالوث الاقدس نصير له شركاء . وبوساطة هذا الاشتراك نصير بنيناً للآب واخوة للابن ومسكناً للروح القدس . فلذلك سيدنا يسوع المسيح علمنا ان ندعي ابيه الاله في صلاتنا ابونا .

فالآن نقول ان الصلوة التي علمنا اياها الابن سيدنا يسوع المسيح تنقسم ثلاثة اقسام . فالقسم الاول هو التضرع لاجل الخطايا : والقسم الثاني هو الطلبة لنيل المنح . والقسم الثالث هو المنادمة اللذيذة بالدالة المظيمة . وهـذا القسم افضل القسمين الاولين . ومن يريد ان ينادم الله عزّ شأنه . فاولًا يتمسك بشروط المنادمة التسع لانه ان لم توجد هذه الشروط التسع في المنادم لا يستحق هذه المنادمة . لكون هذه الشروط هم من الضرب اللازم للنادم . وضروريين هم لمن ينادم الله عزّ شأنه بهذا المقدار . حتى اذا عدم من هؤلاء التسع شرط واحد فقط . فلا تتم المنادمة . فمن اللازم الضروري حفظها واقتنايها والعمل بها . حتى اذا نادم المنادم الباري تعالى بهذه الشروط التسع يقبل منه تعالى المنح.

وان سأل من ينادم ومن هو .

فنقول المعرفة والامانة والمحبة والوجا والتجرد والصوم والتواضع والاستماع

والاحتمال . فاعلم ان من لم يعرف الله حقّ المعرفة لا يستطيع ان يؤمن بـه وان لم يؤمن به حقّ الامانة فلا يقدر ان يحبـه حق المحبة . ومن لا يحبه فلا يترجاه . ومن لم يكن فيه رجا . لم يقدر يتجرد . ومن لم يتجرد فلا يصُم . ومن لم يصم فلا يتضع . ومن لم يتضع فلم يسمع . ومن لا يسمع لم يحتمل . ومن لا يحتمل فمن المعلوم لم يقدر ان يصلي . لان الصلاة هي كمال العشرة ، وختماً للتسع الشروط . لا يجب له بل ولا يستحق ان ينادم الحقّ جلّ وعلا . ولهذا قليل من الناس من يستعمل هذه المنادمة . والذين يداومون هذه الصلوة يجب لهم حفظ هذه الشروط لان خلوًا منها لا تتم هذه الصلوة وان قلت من يقدر يحفظ هؤلا . الشروط بالفعل على ما ذكرت . فاجيبك نعم افتعالهم ممكناً . لاننا نرى البعض من الناس اذا رام يأخذ له من الملك الارضي وظيفةً ما او رياسة او سلطة تراه يقدم كل جهده ليجعل له وسايطاً ليتوسلوا في ان يقدموه امام ذلك الملك ليستشفعوا له امام الملك تلك المرتبة . وقبل ان يشرعوا في دخوله يجب ان يستأذنوا الحجاب الداخلين في بلاط الملك كل منهم بمفرده . لئلا اذا دخل يتعارضه احدًا منهم . وان لم يفعل هكذا لا يستطيع الدخول امام الملك . وان قال انني دخلت الى عند الملك بغير وسايط ويقصى عن الملك وعن كيفية ترتيب نظامه وانواعه . ترى من يصدقه لا لعمري . وشاهده انه صغر اليدين مما رامه من الملك . وان تجاسر ودخل عند الملك . فلم تجرأ على المنادمة معه . لكون الملك خلوًا من وسايط لا يتجري احدًا ليس على منادمته فقط . بل ولا يستطيع ان يمشي خطوة في بلاط الملك فضلًا عن منادمته . فان كان من يروم الدخول الى عند ملك ارضي هكذا يريد له وسايط وتكلف زايد ليمنحه منحة ما زايلة . فما ظنك بمن يروم ملك الملوك ورب الارباب . كم يجب له ان يعتني في ان يقتني هذه الشروط . وذلك بغير وسايط ولا مال . بل انه يتخذ هؤلا . الشروط وسايطاً . وبوساطة هذه الشروط يقتني تسع فضايل . وبهم ينال ملكوت السما . حيث انه قدم امامه هذه الفضايل التسع . كأنه ارسل امامه تسع هدايا . لتصير منادمة بدالةٍ عظيمة كدالة الابن الى ابيه . اعلم ان هذه الشروط التسع تتلد من بعضها . واستعمالها يعود سهلًا . فالمعرفة تلد الأمانة والامانة تلد المحبة والمحبة تلد الرجا . والرجا يلد التجرد . والتجرد

يلد الصوم والصوم يلد التواضع. والتواضع يلد الاستماع. والاستماع يلد الاحتمال. ومن الاحتمال يلد الصلوة اي المنادمة مع الله عز وجل . واظن ان هؤلاء الشروط هم العشرة الاف الذي يقوتهم وبوساطة اتكالنا نستطيع ان نلاقي اعدائنا الجايين الينا في عشرين الف . وان رمت ان تعلم منفعة هذه التسع شروط من الضرر الذي يحصل بعدمها. اعلم ان المعرفة هي قبال التيه والضلال. والامانة هي تجاه الشك والكفر . والمحبة هي ازاء الحقد والبغضة . والرجا امام الضيق وقطع الرجا . والتجرد هو مقابل الهمة ومحبة الفضة . والصوم هو قصار الزنى ومحبة البطن . والتواضع ملاقي الكبريا والافتخار . والاستماع مقابل العصيان واثبات الارادة . والاحتمال هو ضد الكوارث والمضايق . والصلوة هي قهر للشيطان وكل قواته . فهؤلاء هم اسلحة الله الذي قال عنه الرسول لتكون متسلحين بالمعرفة وحاملين ترس الامانة وملتهبين بالمحبة. وساعيين بالرجا. ومتكبدين التجرد . ومتدرعين بالصوم . وساجدين بالاستماع . ولابسين الاحتمال ومتجليين بالاتضاع. وحين نُضرب من اعدائنا فباطال نسل سيف الصلوة ذو [×] ونلمحه امامهم . ونلقاهم به غير مبالين . ونحن متكلين على اعانة ابينا السماوي . ومن ثم ترى اعدائنا منهدمين . ونحن بالغلبة قايمين متكللين .

وهؤلاء التسعة شروط هم التسعة فضايل الذي كان اقتناهم اخ من المتوحدين . وجاهد جهادًا عظيمًا ليقتني الصلوة التي هي المنادمة مع الله تعالى . وبانتقاله من مكان الى مكان بدد اوليك الفضايل التسع الذي اقتناهم بكد وكدح عظيم . اعلم ان سيدنا له المجد دخل في هؤلاء التسع الشروط . واتمهم بالصلوة الذي كان يصليها . وهو تعالى علمنا لنصليها . لان في سابق معرفته انه يخلصنا . لانه صدق ان قوته القادرة على كل شيء تقدر على عدونا . وصعب عليه من اجلنا لانه احبنا . وصار له رجا. ليكن به لنا الرجا . فحينئذٍ تجرد وصام واتضع امام عبيده واستمع لابيه حتى الموت موت الصليب كقول الرسول . واحتمل جميع الآلامات . وكان يصلي متواترًا ولهذه التسع شروط مكابدًا . وهؤلاء جميعهم فعلهم لاجلك وفرط حبه لك يا دودة حقيرة. وانت لا تشاء ان ترضيه بهؤلاء الهدايا التسع لتنادمه تعالى . فهو رضي واقبل بعقله

هؤلا. الشروط. وما وجد له من يعزيه بتعزية ما ولا من تلاميذه. لان الواحد منهم باعه . والاخر نكيره . والآخرين تركوه وهربوا . واما ابوه السماوي لم يرث له . بل انه بحالةٍ ضيقة اختفى عنه . حتى انه اضطر ان يصرخ مستغيثاً اليه قايلاً . الهي الهي لماذا تركتني . فيا هذا اعتبر كيف انه احتمل كل هذه الآلامات لاجلك لينقذك ويخلصك من الخطية واسر الشيطان . حيث انه كان قادرًا بصيرورته ملاكاً لاستنقاذك . لكنه من حبه لك اتحد بطبيعتك ليشرفك ويعليك ويورثك السعادة الابدية في ملكوته السماوي . اذ اقتفيت اثاره . وانت لم ترضي اقل ما يكون ان تصلي له الصلوة التي علمك اياها باشخاص تلاميذه بالشروط الواجبة لها . الذي اذا صليت كواجبها تصير ابناً لابيه بالذخيرة الابنية الذي اختصك بها . فاعلمي يا هذا اذا رمت الدخول لحكم ما . وقال لك احد المتقدمين اليه ان لم تفعل ما كذا وكذا لن تقدر ان تدخل . اتراك كنت تخالفه وتفعل ضد ما امرك لا لعمري . بل كنت تفعل جهدك في انك تزيد عما قاله لك . ليصير لك عنده دالة اوفر وذلك لتنال منه منحة دنيوية زايلة . فكم بالحري سيدك وخالقك الذي عانا شدايد. وكابد اتعاب . واحتمل الآمات هذه عظم مقدارها لاجلك وعلمك ان تقتفي اثاره . اي انه صلّى لا لحاجة منه . بل لتحذو حذوه ولمحبته لك يا انسان بعد كل هذه الاقوال مات مصلوباً عوضك. وانت تتهاون به الى هذا الحد . يا لهذا الجهل الفظيع كونك قدمت . بل انك اخترت رضى الناس على رضاه لاجل منحة ما زايلة . والذي يخزلك السعادة الدايمة اهملت رضاه . اما سمعت النبي القايل ملعون من اختار رضى الناس على رضاه . فلا جرم انه يحيق بنا عذاب اليم . كون اننا اهملنا حب خالقنا . الذي اوجدنا من العدم . وتركنا غاية سعادة حياتنا الابدية . فهلمّ بنا الآن لنبصر سيدنا يسوع المسيح كيف علمنا نصلي في كل حين من غير ملل قايلًا اذا صليتم قولوا .

ابونا . اعلم ان لفظة ابونا تتجه الى ثلاثة اقسام .

القسم الاول عامي والثاني نسبي والثالث خاصي . وهو الاجل . فالقسم العامي الذي هو ابونا بما انه هو ابو الكل عموماً . والقسم النسبي ابونا بما انه هو اب الذين يعرفونه ولكن من حيث اختياره لم يفعلوا . واما القسم الخاصي ابونا

فهو اب الذين يعرفونه ويحفظون وصاياه . ويفعلون اختياره واوامره ويتممون رضاه . والذين هم هكذا فهم المخلصون بدم ابنه . والذين هم هكذا فهم مميزين ليصيروا اخوة لابنه . وشركايه في ميراث الآب. فيجب علينا ان نجتهد ونعمل ما يرضي به ابينا ونضع اوامره كما هو واجب . ومن ثم نلقي عليه جميع همنا لانه تعالى قادر على تدبيرنا وهمنا . وكونه عالم بما يلزمنا وما هو مفيد لخلاصنا . غير اننا نكون موثقين برجايتنا به في اي امر كان لا على غيره . لا في هذا العالم الزايل ولا في سلاطينه العابدين كما اوصانا الروح القدس بفم داود النبي القايل . لا تتكلوا على الرؤسا. ولا على بني البشر الذين ليس عندهم خلاص . بل ولا يكون رجانا في الاموال والغنا . ولا في الاهل والاقارب . حتى ولا بالآباء الجسدانيين بل نكون كالايتام من الاب الذين متى ما تضايقوا من اي امر كان يدعو الى ابيهم . وكذلك نحن ايضاً نكون كأننا خالين من معين ما . وليس لنا من يرثي الينا . كما قال النبي ابي وامي قد تركاني . فاما الرب قباني اي ابي وامي الجسدانيين تركوني وانت يا رب قبلتني لكوني توكلت عليك من الرحم . ومن بطن امي انت الهي . فاراد بالرحم هنا المعمودية المقدسة . وقوله من بطن امي انت الهي اعني اننا حين نخرج من المعمودية المقدسة التي هي امنا الروحانية نتطرح عليك لانك انت رجاءنا وقوتنا .

اعلم ان يوحنا المعمدان قال للذين كانوا يأتون اليه ليعتمدوا منه يا اولاد الافاعي [×] هنا شبه الذين يعتمدا منه باولاد الافاعي تشبيهاً حسناً. وهذا التشبيه يُدعى تشبيه الخاص بالعام. لان الافاعي الاناثى يقبلون الزرع من الفم . وحين يولدون من بطون امهاتهم فياكلون بطون امهاتهم ويخرجون حيّين . فهذا القول من السابق هو زجرًا الى الكتبة والفريسيين بما انه كان عالماً بخبثهم ومكرهم . لانهم كانوا ضد الصابغ واخيرًا قُتل منهم . ولهذا قال لهم يا اولاد الافاعي . فبهذا القول اراد يا بنوا قتلة الانبياء. فمن المعلوم ان قتلة الانبياء هم الافاعي لشرهم ومكرهم . والافاعي لا تلد الا افاعي . ولهذا دعاهم يا اولاد الافاعي . وحرف يا هنا فهي للتعجب فكأنه يتعجب منهم اذ رآهم مقبلين للمعمودية بكثرة . والدليل في تعجبه قوله التالي : من دلكم على الهرب من الغضب الآتي ، فاعني بالغضب الآتي الى حدهم وكبريائهم مزمع

ليس ان يأتي عليهم طيطوس قيصر ويبيدهم (يبيدهم) فقط. بل ومن الغضب الذي يأتيهم في يوم النشور. كما قال المسيح ايضاً على لسان ماري لوقا. ان الامة سوف يرتعدون من غضب المسيح ووجهه الغضبان فيقولون للجبال اسقطوا علينا والأكام غطونا عن وجه الجالس على الكرسي. ومن غضب الحروف لان يوم غضبها العظيم قد اوفى وافى. فمن يقدر على الوقوف فهذا كله كان زجراً وتوبيخاً الى عام اليهود. واما تشبيهه باولاد الافاعي فكان رمزاً خاصاً للتائبين منهم. الذين من ثم آمنوا بالمسيح. ورمزاً لنا بوجه الخاص. وقوله لهم اى للتائبين منهم يا اولاد الافاعي من دلكم على الهرب كانه يتعجب من رجوعهم قايلاً لهم. من وعظكم بالغضب الآتي عليكم حتى انكم اقبلتم لتتعمدوا. فاعملوا الآن ثمرة تليق بالتوبة. فيوحنا المعمدان كان منذراً بملكوت السما. وموعداً بها للتائبين من اليهود ولنا ايضاً. وكذلك كان منذراً بغضب الله وجهنم ومتوعداً للغير التائبين. واما قوله يا اولاد الافاعي فهذا كرمز لنا لكوننا نحن نزلنا الى فم المعمودية كمن زرعنا فيها. حين [خرجنا] منها كأننا كالأفاعي نأكل بطن امنا ونخرج حيين. اي نقبل من بطن المعمودية امنا الحيوة. ونميت بطنها اي تخلى منا وتبقى فارغة اي مايتة. ونحن نحيي لكون اننا اخذنا منها القوة والحيوة. ولهذا نحن حيينا وامنا ماتت. فمن اجل هذا نحن صرنا يتاما. فاذا لاف هنا باليتيم اذا اندعط من كرب وهم يلقي همومه كلها على ابيه السماوي من حيث امنا المعمودية قبلتنا من فه الشريف بوساطة صوته الصارخ من العلى قايلاً: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت. فان كنا صرنا اخوة المسيح حقيقة بوساطة المعمودية التي اغتمد هو تعالى بها واتلدنا نحن معاً منها. فالصوت الذي صرخه الآب لا جرم كان لجميعنا معاً. اعلم ان هذا الصوت كان بالحري لاجلنا نحن. اكرى مما كان للمسيح الهنا. لان المسيح لم يكن محتاجاً ان يعرف الآب. ولا حاجة للآب ان يعرف الابن لكون الآب والابن من الازل عالمين بهذا العالم. غير ان هذا الصوت كان للمسيح خاصة ليشتهر فيما بين الخليقة انه ابن الله بالجوهر. وهذا الصوت كان لنا نحن ايضاً لنشتهر ونعرف ان كل معتمد منا قد صار ابناً لله بالنعمة واخوة المسيح وبنو ميراثه. وكان لنا هذا الصوت بالضرورة اللازمة لنا. لكي من بعد خروجنا من امنا المعمودية المقدسة ونسمع لهذا الصوت الشريف نعرف

ونتيقن بالحقيقة اننا بنوه بوساطة نعمة التي حلّت علينا بالمعمودية . ونتحقق اننا نحن من ذرعه . ليس من ذرع غريب الذي هو الشيطان . ذلك الذي منذ البدء كان القى ذرعه في امنا حوى وزنا معها . فاما الآن نحن ليس عبيد له . ولا هو ابونا ونبين الزني كائناً من البدء . بل الآن صرنا احرارًا وبوساطة صراخه لكل منا انت هو ابني الحبيب صرنا بنيناً لله العلي واخوة المسيح ووارثين معه في كل شيء الذي للآب السماوي . واما نحن فعلى الفور ندعوا الاب ابانا . وان نحن صنعنا ارادته واكملنا اختياره . فهو ابونا الحقيقي ونحن بنوه الحقيقيين . نحن الذين ليس من دم ولا من هو اللحم ولا من مشيته رجل بل من الله روحانيا ولدنا .

فلذلك وجب علينا ان نصنع ما أمرنا به ابونا . ونحفظ وصاياه بالفعل ونكمل اختياره . لكي اذا ما ضغطنا باي نوع كان . فبالحال ندعيه لخلاصنا فيستجيب لنا ويعيننا ويساعدنا . فلا يليق بنا ان نكون غير طايعين له . وبقلة استماعنا وحفظنا وصاياه نعصاه ليلا يعثنا القول للكتبة والفريسيين ولو انهم اعتمدوا من يوحنا . لكنهم لا زالوا مصرّين على مكرهم وخيانتهم وعصاوتهم . يا اولاد الافاعي من دلكم على الهرب من الغضب الآتي . اوليك الذين استحقوا من الله غضباً ورجزاً . ويحفظ لنا غضب الحكم قايلا لنا تنحوا عني يا ملاعين العصاة الى النار المؤبدة لاني ليس اعرفكم . فيجحدنا ولا يعرفنا . وعوض الوراثة التي تكون لنا مع ابنه نار جهنم يورثنا . وذلك لكوننا ما حفظنا وصاياه . ولا فعلنا اختيارة كابنه الحبيب . فمن هذا الجري نفسه لا يعطينا الوراثة معه . لكوننا نخالفه ونطيع في كل شيء للشيطان . وهو تعالى ايضاً عتيد ان يجازينا مع الشيطان الذي عصاه ويورثنا جهنم صحبته .

اعتبر يا اخي محبة سيدنا يسوع المسيح ورغبته فينا . ذلك الذي من بعد ما صنع امورًا فايقة تزيد على مقدار المحبة التي الزمته ان يتجسد ويتألم ويموت ليقينا من العبودية واخيراً صنع ذاته في سرّ الافخارستيا اي جسده ودمه الاقدسين حتى بتناولنا هذا السرّ مع حفظنا اوامره وتتميمنا اختياره نتقدس ونصير بنو ميراثه وملك معه . لكونه هو غايتنا القصيا ونحن نتوانا عن تكميل اختياره . من حيث اننا نعرف بانه تعالى رضي وصار لنا وسيطاً ووهبنا ذاته الشريفة ولم يشفق على عظمته التي هي اجلّ من كل ما في السما . والارض

وذلك لاجل محبته لنا . ونحن نتوانا في اقتنالنا اوامره . ما هو واجب علينا ان نصنع مشيته ونكمل اوامره ونحفظ نواميسه لنستحق الدالة العظمى عنده . ويمنحنا نعمته لتحفظنا وتشجعنا وتكون لنا سترًا وعزاء وافرًا لكي اذا رأنا عدوّ الخير ارتقينا الى درجة البنين يؤذينا ويغيظنا . فنكون نحن مستعدين نقوم امامه رافعين عقولنا الى السماء باسطين ايدينا بتلك الدالة العظيمة التي لنا عنده صارخين بقلب منسحق قايلين له يا ابونا . فحين يسمع ذلك المغتصب اللعين صراخنا يا ابونا يتنهّد من قلبٍ حزين متمرمرًا باشنع المرارة. صارا اسنانه علينا بجدةٍ هذا عظم مقدارها حتى انه يعجزنا لنفشل ونتراخى عن تكميل ما امرنا الله به. فالمخزي حين يرى تراخينا وتكاسلنا فياخذ منا الرخاوة والكسل ويحاربنا بهم ليلًا نذعر ابونا لاسعافنا . فاذا ما تشجعنا بمعونة ذلك الذي صار وسيطاً لنا وهتفنا صارخين لابيه يا ابونا فيفتكر ذلك الاثيم في ذاته قايلًا . ترى لاي اب يصرخون بنا ان المنكود حظه دأب الائمة الاشقياء. فيتخيل اننا صارخين له . فتردف قولنا الذي في السماء . فحين يسمع اللعين قولنا هذا يولي عنا خائفًا برجفةٍ عظيمة . ذلك الذي سقط مع قواته من رمز البـاري تعالى مثل البرق .

وان قلت متى كان ذلك .

اجبتك حين رفع عقبه على الخالق تعالى . وافتكر ليدفعه من كرامته . وذلك كان سبب تشكيكه ولهذا السبب عينه تنازل الابن جلّ شأنه وتشبه بنا بالناسوت الذي اخذه منا ما عدا الخطية لينتقم منـه . فاولًا تجرّب منه فاغلبه . وثانياً انه فعل جميع النواقص اذ هو بريأ من النقص . وذلك ليرينـا ويعلمنا باي فعلٍ غلبه . لنضع نحن ايضاً ونغلبـه وننتصر عليه . وشجعنا ايضاً بقوله لنا قولوا ابونا . فحين ينظر الاب انه ابنه يشبهنا ونحن على المدا صارخين له ابونا الذي في السماء كالاب الذي يصرخ ابنه له . هكذا نحن نصرخ لـه يا ابانا حيث اننا جميعنا متردين مع ابنه بناسوتٍ واحدٍ . اعلم ان ناسوت ابنه سيدنا يسوع المسيح صار لنا . وبه نصعد الى الاب الذي كان بعيدًا منا . فهذا هو السلم الذي رآه يعقوب ابو الاسباط في بيت ايل . فـلا يجب ان نتراءى للآب شبيهين ابنه بالناسوت فقط . بل اننا نسمع وصاياه ونحفظها ونكمل

ارادته ونفعل اختياره في كل شيء . فاذا ما فعلنا ذلك نكون شبيهين ابنه . وان لم نكن مشابهين ابنه بالفعل، فالآب لا يقبلنا ان نكون له بنيناً. ليتَ شعري ما الذي ينفعنا ويفيدنا اذا شابهنا ابنه بالناسوت فقط وليس بالفعل ايضاً . فها جميع الناس يشبهون ابنه بالناسوت. فما تولك هل الناس جميعها هم بنيناً لله. اسمعه ماذا يقول للمرأة التي قالت له من بين الجموع بارتفاع صوتها . الطوبى للبطن الذي حملك والثديين اللذين ارضعاك. فاجابها قائلاً مهلاً . الطوبى للذين يسمعون كلمة الله ويحفظونها. كما اجاب للقايلين له ها امك واخوتك خارجاً يطلبونك . من هي امي ومن هم اخوتي. فكل من يسمع كلام الله ويفعل مسرّته. هو اخي واختي وامي . كما قال ايضاً في كرزه طوبى لصانع السلام فانهم بنو الله يدعون ـ فانظر كيف انه تجد يعلّمنا معلّمنا الحقيقي ان نصنع دائماً مع ابيه الصالح السلام . ونفعل اختياره ونحفظ وصاياه واوامره لننال منه تلك الطوبى والنبطة السمية . ونصير لابنه من حيث اقتفاينا اثره اخوةً . فحينئذٍ يرانا الاب اننا نشبه ابنه في كل شيء . يشركنا معه في ميراثه السماوي . وفي كل شيء نسأل الآب باسم ابنه بغير شك وتقسم ننالهُ بقوله العزيز بوساطة. تصديقنا واعتقادنا بنية طاهرة ننال ما نريد من الابن باسم الآب . ونتبرّر من طايلة قلة استماعنا كلامه وحفظنا وصاياه . لاننا اذا فعلنا ذلك يصير لنا عنده دالةً هذا عظم مقدارها . حتى انه يمنحنا كل ما نطلبه منه بايمان صادق خالٍ من شوايب الشك والتقسم كقوله تعالى مهما تطلبون آمنوا انكم تنالونه فيكون لكم. وقوله ايضاً اطلبوا تجدوا . اقرعوا يفتح لكم لان كل من يدعوا يُجاب ومن يسل يأخذ . فاذا ما كانت نياتنا ثابتة من افعالنا وحسن اتكالنا فحينئذٍ نستحق المخادمة مع الآب السماوي كالابن الطايع ابيه ومدمناً على استماع كلامه ومكمل اختياره ومتمم رضاه بالفعل . فلما يرى الآب صورة عقل ابنه صافية كالمرآة بوساطة وصاياه فيحبه ابوه محبة هذا عظم مقدارها حتى انه يسلمه كل ما له . فاصفاوة عقل ابنه ينظر ان ما احدًا يشبهه سوى ابنه . والابن ايضاً يرى ان ماله شبيه سوى ابيه . فمن ثم جميع ما للآب يناله الابن . فعلى هذا النحو ابونا السماوي . فان رآنا طايعين له ومكملين ارادته حتى الموت . ورأى

عقلنا قد صفي بوساطة حفظنا وصاياه واتممنا اختياره بالفعل فيصرخ الابن علانيةً قايلًا يا ابتاه . كما انت فيَّ وانا فيك ليكونوا هم ايضاً فينا واحدًا كما نحن واحد . فمن ثم يقوم العقل بدرجته الاولى بالكمال شبه خالقه . ونحظى بالسعادة الابدية ونحوز ذخيرة البنين الذي للآب السماوي ونبلغ الكرامة السامية التي هي غايتنا القصيا . فحينئذٍ نقدس اسم ابونا بقولنا :

ليتقدس اسمك . فحين نقدس اسمه الكريم يلتذ اعلى من تقاديس السارافيم. وليتمجد بتقديسنا امجد مما يتمجد من ساير تماجيد وتسابيح جميع الملائكة النورانيين من حيث ان الملئكة ما اعتنا في خلقتهم كما اعتنا في خلقتنا لانه تعالى شاء فخلقوا . كقول المرتل بكلمة الرب صُنعت السموات وبروح فمه كل قواتها . اما نحن فليس كذلك . بل في خلقتنا قال تعالوا نخلق انساناً على صورتنا ومثالنا . فبقوله هذا اراانا انه فعلًا فعل . لانه كان مزمع ان يفعل فعلًا عظيماً لتكمل الصورة بالكمال لتكون مثله . لقوله بفم النبي يداك جبلتاني وصنعتاني . واما قوله تعالوا فهو لمساواة ارادة الثالوث الاقدس في ابتدا الفعل الكيما بكمال الفعل يتمجد منا الثالوث الاقدس بالسوية . لان ذلك التقديس والتمجيد الذي حصل له في نهاية فعله فالآن يجب لنا ان نقدس ونمجد ابونا السماوي لاجل كمال فعله الذي صنعه . فمن هنا علمنا ان اسمه لا يتقدس منه مجاناً بغير عنا. كتقاديس الملئكة. بل هذا التقديس هو مبتاع بدم ابنه الوحيد. ذلك الذي اسلمه الى الموت بالصليب لاجل خلاصنا. فمن ثمَّ يجب علينا الّا نهزي من تقديس الآب بابنه والابن بابيه وروح قدسه . فيتقدس اسمك من جميع المخلوقات . من حيث انهم علموا اننا كنا غير موافقين وخطاة اثيمين . فالآن لما يروا اننا صرنا للاب بنيناً ولا نحن اهلًا لمراحمه فيتعجبون من انعام الله الغزيرة ويقدسون ويمجدون اسمه العظيم المجيد . يتقدس اسمك بقداسة جميع اعضاينا وحواسنا لانه تعالى قال كونوا قديسين كابيكم السماوي فانه قدوس فاذا ما ادينا التقديس لابينا السماوي فتتقدس اعضاينا وحواسنا واذا حفظنا وصاياه بالفعل فبالحقيقة يسكن فينا الثالوث المقدس . لقوله الشريف كل من حفظ وصاياي انا والآب اليه نأتي وعنده نصنع لنا منزلًا . وفي كل شيء يقدس نقول باسم الاب . ليتقدس اسم الآب بذلك الشيء الذي يتقدس لاننا بافعالنا

الحسنة الصالحة تقدس اسمه . فاذا ما ترانا الناس بهذه السجايا فيقدسون ويسبحون ابونا الذي في السماء من حيث اننا كنا ضعفاء ساذجين والشيطان عدونا بقوة كبريائيه يروم كسرنا وهلاكنا . ولكنه حينما يرى قوة اسم ابينا العظيم محيطة بنا كالصور الحصين يفر هارباً ولا يعود له استطاعة ان يدنو الينا . لكون اننا متسلحين امامه بقوة اسم ابينا العلي وبهذا الاتكال نصرخ قايلين :

لتأت ملكوتك . اعلم ان لفظة الملكوت المذكورة في الانجيل المقدس تتجه الى اربعة اقسام :

القسم الاول : تعني عن المعرفة الالهية .

والقسم الثاني : تعني عن مجيء مولانا المسيح بالناسوت المضاهي لنا لمّا كان في حال البرّ الاصلي وبشارته المحيية .

والقسم الثالث : تعني به عن قيامة سيدنا يسوع المسيح .

والقسم الرابع : تعني عن الملكوت التي يرثوها الصديقين مكافاة لاتعابهم في يوم القيامة . امّا قوله هنا تأتي ملكوتك إعني تأتي معرفتك يا الهنا الينا لتعيننا وتساعدنا . فسيدنا يسوع المسيح علمنا هذه اللفظة الشريفة لنطلبها من ابينا السموي . اي ان نطلب منه المعرفة الالهية . لكي بوساطتها نعرف ما الذي يرضيه ويختاره . فنكمله بحفظنا وصاياه واوامره . فقوله تأتي ملكوتك اي معرفة الالهية هي التي قال عنها : اليسر هو دخول الجمل في خرم الابرة من غني يدخل ملكوت الله . فاراد بقوله انه لم يستطع احد يدخل الملكوت اي يقتني المعرفة الالهية ما لم يحذف عنه الاقتنا العالمي ويرذله . فاذا ما تجرّد من الهموم العالمية ونبذ عنه الامور الدنيوية فيسهل عليه اقتنا المعرفة الالهية . كما قال ايضاً عنها ملكوت السما بالغصب تؤخذ . والغاصبين يختطفونها اعني ان الانسان طال ما هو مهتم في الاقتنا العالمي يعسر عليه اقتنا المعرفة الروحانية . وقوله والغاصبون يختطفونها اي المتجردون من القنية العالمية يستطيعوا يخطفوا المعرفة لانها بدون التجرد لا تقتنا . كما قال عنها ايضاً ملكوت السما هي داخلكم . اعني اقتنا المعرفة الروحانية المجرد من الهموم الدنيوية سهل جداً . لكونها داخلنا اي تحت ارادتنا لقوله ايضاً لا يستطيع احد يضع يده على

سكة الفدان وينظر الى ورايه . اعني من رام ان يقتني المعرفة الالهية لا يجب له ان يتعلق بالاهتمام العالمي . وانظر ماذا يشبه المعرفة الالهية بقوله تعالى تشبه ملكوت السما كنزاً مخبو في حقل . فوجده انسان فاخباه . ومن فرحه بـه مضى باع كل شي. له واشترى ذلك الحقل . اي ان من يروم يقتني هذه المعرفة الالهية فانه يراها مخفية في طي الهموم العالمية . فاذا اراد يقتنيها يجب ان ينفصل من الامور الدنيوية بالكلية . ومن ثمّ يقتنيها لتشبيه التالي بقوله تشبه ملكوت السماوات حبة خردل اخذها انسان وزرعها في حقله الى اخره . اي ان الانسان اذا اقتنا المعرفة الالهية فتنمى فيه جميع الفضايل الروحانية . وبوساطة هـذه الفضايل يُعان على محاربة اعدايه . كما قال عنها ايضاً تشبه ملكوت السماوات انساناً تاجراً يطلب الجواهر الحسنة فوجـد جوهرة واحدة كثيرة الثمن فمضى وباع كل شي. له واشتراها . اي ان الذي يطلب المعرفة الروحانيـة فحين يشعر بها يجرد ذاته من جميع الامور العالميـة كلها ويقتنيها لقوله ايضاً ان ملكوت السماوات لمثل هؤلا. الصغار . فاراد بهذا ان المعرفة الروحانية لا يقتنيها الّا من كان ليس له اهتمام بالعاليات . ولا يهتم في ان يقتني شيئـاً كالاطفال الصغار لقوله تعالى ايضاً . اطلبوا اولاً ملكوت الله وبرّه وهذا كله يزدد لكم . فانظر يا اخي كيف ان سيدنا يسوع المسيح يعلمنا ان نتجرّد من امور العـالم بالكلية ونقتني فقط المعرفة الالهيـة وليس الا بقوله اطلبوا ملكوت الله اي المعرفة الالهية التي اذا ما اقتنيناها نصنع بها امامه البرّ . اي اننا نؤمن بـه ايماناً صادقاً ونفعل افعالاً صالحة بحفظنا وصاياه واوامره . ولا نبـالي بالاحتياج لقوله وهذا كله يزدد لكم . اي انه اذا رأى اننا مؤمنون به ايماناً حيًّا خالياً من شوايب النقص والريب ومتكلف عليه باتمامنا اختياره وفاعلين بناموسه . فيعود هو ايضاً يكمل احتياجنا بزيادة لقوله تعالى ان ابآكم عالم بمـا تحتاجون قبل ان تسألوه فانظر يا هذا كيف انه تمجّد اسمه يجردنا من كل فكر عالمي حتى انه يفصلنا من كل همة دنيوية . ولا يروم منا الا ان نعرفـه تعالى حق المعرفة . ونعرف ما يرضيه لنفعله وليس الّا .

اسمعه ايضاً كيف يثبت هذا بقوله . لكم اعط ان تعرفوا اسرار ملكوت الله . واما الباقون فبالامثال يكون لهم كل شي. . ارأيت كيف ان المتجرّد

من الامور العالمية والهموم الدنيوية كالتلاميذ له ان يعرف المعرفة الروحانية . وقوله الباقون فبامثال يكون لهم كل شيء . فاعني بالباقين عن الذين هم ملتهين بالعالميات لهم ان يستفهموا عن كل بالامثال . لكونهم ليس هم مجردين من التعلقات الدنيوية ليقتنوا المعرفة الالهية . فلهذا قال ايضاً كل كاتب يتلمذ لملكوت السماء يشبه رجلاً ربّ بيت يخرج من كنوزه جدداً وعتقاً . فاعني بذلك ان من يقتني المعرفة الروحانية يستطيع ان يصنع الصالحات .

واما القسم الثاني المدعو ملكوت اي اتيان سيدنا يسوع المسيح وبشارته المحيية . لقوله تعالى قد دنت منكم ملكوت الله . اي ان سيدنا اتى الى العالم متأنساً . وكرز في العالم ليؤمنوا به ويخلصوا من خطاياهم ويرثوا النعيم . وايضاً يقول قد قربت منكم ملكوت السماء اعني ان سيدنا تمجد قرب الآن يُصلب ويخلص الاسرى من الجحيم . وقوله يكون بهذه البشارة للملكوت في العالم اجمع . فاعني بهذا عن بشارة مجيه المحيية . لقوله ايضاً ان الصغير اعظم من يوحنا في ملكوت السما . اي انه تعالى جلّ وعلا اعظم من يوحنا لانه ابن الله . وقوله ايضاً كل من يسمع كلامي هذا ولا يعمل به الى آخره . اعني بذلك ان من يسمع تعليم المسيح الهنا وما يعمل به فهو لا ينجح في كلّ امر يصنعه . وايضاً قال تشبه ملكوت السما لرجل قد زرع زرعاً جيداً في حقله الى آخره . اعني ان الذي يؤمن بسيدنا يسوع المسيح اتى لخلاص العالم ومن ثمّ عدو الخير غشه واضلّه فسيحرق كالتبن بنار لا تطفى . ويقول ايضاً تشبه ملكوت السماوات خميرة اخذتها امرأة وخبأتها في ثلثة اكيال دقيق . فاراد بالخمير المعرفة الروحانية الموهوبة من الروح القدس . واراد بالمرأة الحكمة الذي هي سيدنا يسوع المسيح . وبالثلاثة اكيال دقيق اراد بهم النفس والروح والجسد . فاذا ما اقتنى الانسان هذه الخميرة التي هي المعرفة الروحانية فيحويها ضمن هذه الثلاثة النفس والروح والجسد . وقوله ايضاً تشبه ملكوت السماوات لشبكة القيت في البحر الى آخره . فاراد بقوله شبكة الى بشارة المحيية . والبحر هو هذا العالم. لان التلاميذ لما انذروا في العالم البشارة المحيية . فامنت بها من اليهود والعبرر والمجوس والاحرار والعبيد . وقوله لما امتلأت الشبكة اصعدوها الى الشاطئ . فجمعوا الخيار في الأوعية والشرور طرحوه خارجاً . اي الذين آمنوا واقتنوا

بايمانهم الفضايل الروحانية فهم لوراثة النعيم . وبالعكس اي الذين لم يؤمنوا فيلقون خارجاً اى خارج النعيم وخارج النعيم ليس هو الا الجحيم . وقوله ايضاً تشبه ملكوت السماء لرجل خرج عند الصباح ليستأجر من الناس آمن على يد المسيح والبعض امن على ايدي الشهدا والقديسين من اصطناعهم العجايب والجرايح . والبعض من بوساطة كلام البشري خلواً من شك وريب . ايماناً مستقيماً من غير احتياج الى عجايب وآيات واصطناع جرايح . بل ولا لمعجزة باهرة فيشاهدونها ليؤمنوا وما ذاك الا لكون انهم لم يكونوا في عهد المسيح . ولا في عصر التلاميذ بل ولا في زمان الشهدا والقديسين كي يجابوا الى الايمان. وهذه الطايفة هم الذين منحوا الطوبى من الرب بقوله : الطوبى للذين لم يروني ويؤمنون بي . وقوله تعالى ايضاً ملكوت السماوات تنزع منكم وتعطى لامم آخرين يصنعون ثمرتها . فالمسيح هنا صرّح لهم عما سيأتي عليهم بعد استشهاده من انتزاع كهنوتهم ورياستهم . وذلك يصير الى الامم القريبة الذين يؤمنوا به . وباعمالهم الصالحة يثمرون . وقال ايضاً تشبه ملكوت السماوات الملك صنع عرساً لابنه . وأرسل عبيده يدعوا المدعوين للعرس الى اخره . فاراد بالملك هو الله الآب الضابط الكل . وقوله لابنه اي سيدنا يسوع المسيح . والعرس هو التدبير المخلصي الذي صنعه يسوع المسيح من السياسة والآلام مع الصلب والعروس هي البيعة المقدسة . والمدعين هم جماعة اليهود الاتين . والعبيد هم الانبياء من موسى حتى يوحنا الصابغ وهذه كلها قد كانت وتمت بالكمال بابنه الحبيب الذي اتى لخلاصنا . واما الذين لم يشاؤا ان يأتوا للعرس هم اليهود والعتاة . والعبيد الذي ارسلهم اليهم اخيراً هم التلاميذ القديسون . فتكاسلوا اخيراً وابوا ان يأتوا فكل منهم اعتلّ بعلة شهوانية . والبقية قبضوا على العبيد واستخفّوا بهم وقتلوهم . فغضب الملك وارسل عبيده الى المالك والطرقات وامرهم بان يدعوا كل من يجدوه الى العرس . اي بان يدعوا عباد الاوثان وغيرهم من الامم . واما اولئك القتلة ارسل فقتلهم واحرق مدينتهم بالنار . فلما دخل الملك لينظر المتكئين فرأى العرس قد امتلا من الاخيار والاشرار . فرأى انساناً ليس عليه ثياب العرس. فقال له يا صاح كيف دخلت الى هنا اذ ليس عليك ثياب العرس . فسكت . فأمر ان يربطوا يديه ورجليه

ويلقوه في الظلمة البرانية . حيث البكا وصرير الاسنان . فاراد بهذه الجملة ان كل من يؤمن بسيدنا يسوع المسيح ولا يعمل صالحاً يُربط باطرافه ويُزج في الظلمة البرانية حيث البكا. وصرير الاسنان . لقوله ايضاً موبخاً به لكتبة اليهود وفريسيهم . ويلٌ لكم لانكم تغلقون ملكوت السما امام الناس فلا انتم دخلتم والداخلون اليها منعتم اي ان شعب اليهود الذي لم يؤمنوا بمجيء سيدنا يسوع المسيح ليدخلوا الى عرسه اي ملكوته ولا سيما الكتبة منهم والفريسيين . اوليك الذين لحسدهم وشهواتهم النجسة وحبهم الرياسة اعتلوا بعلل خبيثة وهم يريدوا ان يؤمنوا به . وليس هذا فقط بل انهم لحبثهم ومحبتهم لانفسهم منعوا ذواتهم من الدخول الى الملكوت وبتعليمهم المسموم ان ابيهم الغشوش اي بقية الشعب اليهودي صدّوا من ان يؤمنوا به .

والقسم الثالث الذي دعاه ملكوتاً فعن قيامة سيدنا من بين الاموات لقوله تعالى ان ها هنا قوم من القيام لا يذوقون الموت حتى يرون ابن البشر اتياً في ملكوته . فاعني بقوله هذا ان التلاميذ كان اقصا مرادهم ان يعلموا عن كيفية المجد الذي به يأتي الرب الاتيان الثاني. فاراهم تمجد اسمه ذلك قبل آلامه وصلبه وموته . ليتحقق عندهم بها. مجده وقوله ايضاً انني من الآن لا اشرب من عصير هذه الكرمة حتى اشربها معكم جديداً في ملكوت ابي . فاراد بذلك تحقيق تأنسه حيث حيث انه بعد ما قام من بين الاموات اكل مع تلاميذه ليلا يظنوا انه كان خيالاً . ليس المسيح الاله المتأنس . وايضاً كان ذلك لظن التلاميذ ان ملكوت الله والقيامة العمومية تكون في حين ظنهم اي ظن التلاميذ ان ملكوت الله والقيامة العمومية تكون في حين ظنهم اي ظن التلاميذ ان ملكوت الله في تلك الساعة تظهر وتقوم القيامة. واما قوله العزيز ويملك على بيت يعقوب ولا يكون لملكه انقضا. فاراد بهذا ان بعد قيامته يملك على بيت يعقوب . فعني بتملكه على بيت يعقوب انه بعد قيامته يملك على الذين يؤمنون به وبقيامته المقدسة لقوله واما يسوع من الرامة وكان هذا حسن الراي مهاباً وكان يترجى ملكوت الله الى آخره . فهذا الانسان كان من جملة الذين آمنوا بسيدنا يسوع المسيح وكان يترجى ان بقيامته يخلص شعب اسرائيل . وذلك كان منه خفية من الشعب اليهودي الخبيث لكونهم كانوا

قد خرجوا على انفسهم . ان كل من قال هذا هو يسوع المنتظر ان يفرزوه من من بينهم . وقوله ايضاً اوصانا لابن داود مبارك الآتي باسم الرب اوصانا في العلا . فلفظة اوصانا هي بلغة الرومي . وقرأت باللغة العبرانية هوشعنا ومعناها التسبحة . وتقديره الخلاص لابن داود الخلاص في العلا . اعني ان الذي بقيامته من القبر من القبر يخلصنا .

واما القسم الرابع الذي يُدعى ملكوت هذه هي التي تكون في آخر الزمان اي يوم القيامة تلك التي يرثونها الصديقون مكافأة لاتعابهم . لقوله تعالى ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت الله . فاراد بهذا ان كثيرون من الغير المؤمنين عرفوا الرب وآمنوا به وتنبأوا باسمه . ولكنهم حادوا اخيراً مثل بلعم وفرعون ونجتنصر وحنان مع قيافا واشالهم . الذي سيقول لهم الرب مع الأراتقة الخالين من استقامة الايمان الكاثوليكي ما اعرفكم قط . اذهبوا عني يا فاعلي الاثم . وقوله ايضاً ان الابرار يضئون في ملكوت ابيهم مثل الشمس . ومن المعلوم ان المؤمنون الحقيقيون الصالحو الاعمال والحافظو ناموس الله الصانعو ارضاه فانهم بالحقيقة يشرقون كالشمس في ملكوت السما . وقوله ايضاً لام ابني زبدي حين اتت مع ابنيها الى سيدنا يسوع المسيح وقالت له قل ان يجلسا ابناي هذان واحد من عن يمينك والآخر من عن شمالك في ملكوتك . اعلم ان طلبة ام ابني زبدي لم تكن منتظرة ولا مرتبة . وتتضمن الكبرياء لان في هذين التلميذين تحركت شهوة الترأس . فلذلك استصحبا معهما امهما لتسأل الرب في ذلك . فاما سيدنا تجد اراد ان يقتلع منهما هذه الشهوة الردية التي هي الكبريا بقوله لهما لم تدريان ما تطلبان . اتقدران تشربا الكاس التي انا مزمع ان اشربها . والصبغة التي اصطبغها تصبغانها . فقالا له نستطيع . فقال لهما اما كاسي فتشربان وبصبغتي تصطبغان . اما جلوسكما من عن يميني ويساري فليس ذلك لي . بل للذين اعد لهم من ابي . فليس ذلك منه عدم استطاعة لانه يؤهلها ذلك . فلا يتوهم هذا احد . لانه تعالى له جميع ما للآب . وما للآب جميعه له وانما اراد بقوله هذا ان ليس ذلك لي بل ما اعده الآب . فاذا كان الاب والابن واحد هو . فصار معلوماً انه عز اسمه لم يقل هذا ان فعل الاب ليس له ايضاً . ولكنه اراد به ان يتشبها به في كل شيء . لكونه

تواضع ولبس صورة العبد وصار في الشبه كالانسان ومات موتاً بالصليب من اجلنا . فاراد تمجد اسمه ان جملة اتباعه يكونوا مثله . ويسقطون عنهم كل فكر متكبر وكل مجد باطل . وفي كل شيء متقفين آثاره وبالنخبة مثله . وكأنه يقول لهم تمثلوا بي كما اني اله وابني اله . اتيتُ بتواضع لابذل نفسي خلاصاً لكثيرين . وقوله كان لإنسان ابنان . فجاء الى الاول وقال له اذهب اليوم يا ابني واعمل في الكرم . فقال ما اريد . وبعد ذلك قدم ومضى . وجاء الى الثاني وقال له مثل ذلك . فاجاب وقال انا امضي يا رب ولم يمضي . فمن منهما فعل ارادة الآب . فقالوا له الاول . فقال لهم يسوع حقاً اقول لكم ان العشارين والزناة يسبقونكم الى الملكوت لانه جاءكم يوحنا بطريق العدل فلم تؤمنوا به . والعشارون والزناة آمنوا . اما انتم رأيتم ذلك . ولم تندموا اخيراً لتؤمنوا بهذا ان الولدان—الشعبين— شعب اليهود وشعب الامم . فاما شعب اليهود الذين قالوا اننا نعمل كل شيء ولم يعملوا . وشعب الامم الذين كانوا لا يعرفون الله . وكانوا يعبدون الخليقة دون الخالق تعالى . وبعد ذلك ندموا وعادوا راجعين الى ابيهم الذي خلقهم وصنعوا ارادته . وقوله ايضاً تشبه ملكوت السماوات عشر عذارا الى آخره . فاراد سيد الكل بتشبيه الملكوت بالعذارا العشر . فالخمس الحكيمات مثال الايمان والرجا والمحبة والصبر والصلح . واما الجاهلات الخمس فهم مثال الطهارة والصوم والنسك والحلم والخشوع . فهؤلاء وان كانوا حاويين مثل هذه الفضايل الا انهم كانوا عديم الرحمة فلهذا جهلوا . واما اخذهن مصابيحهن ولم يأخذن زيتاً في اوعيتهن فاراد بالاوعية الافكار الصالحة والمصابيح هم فضايل روح القدس التي تضي بالاعمال الصالحة التي هي الرحمة . لان الفضايل لا تضي بالاعمال الصالحة التي هي الرحمة . لان الفضايل لا تكمل اذ لم يكن معها رحمة فلهذا قال كونوا رحومين كابيكم السماوي فانه رحوم هو . وقوله ايضاً هلم يا مباركي ابي ارثوا الملك المعدّ لكم من قبل انشا العالم الى اخره اي ان المؤمنون بالايمان الحقيقي من غير شك وارتياب الفاعلون اختياره والحافظون وصاياه فيورثهم الملكوت في يوم القيامة ليتنعموا بها . وقوله ايضاً خير لك ان تدخل الملكوت بعين واحدة من ان يكن عينتان وتدخل نار جهنم . اي ان العين هي اشرف الحواس الخمسة . واليد اليسنى هي اشرف آلات الجسم اعني

اذا كان فيكم انسانا محبوباً كالعين او اليد وتكون مشياته قوية في امضا الشهوات الدنسة . فهو مطفيكم ويهلك بكم في طريق الشر . فليكن مرذولاً وسيدنا له المجد يعلمنا هنا بمثل العين اليمنى واليد اليمنى لكونهما اشرف اعضا الانسان واضرّ ما يكون له هذين العضوين . ويعلمنا بهما انه لواجب علينا ان نلقي عنا كل شيء يأول بنا الى الخطية ولو كان ثميناً وضرورياً ومحبوباً لدينا . وتقديمه تعالى بمثل العين هنا على اليد لكونه اشار اليها قايلاً . كل من نظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى في قلبه . ومن المعلوم ان النظر يتم بالعين وقد يراد بها ايضاً الى كل صاحب او خادم ولان كان نفعهم لنا ضرورياً . ويراد بها ايضاً الانسبا والاقارب. فبمثل هؤلا. يجب قلعهم وقطع معاشرتهم اذا كانوا يجتذبونا الى الخطية ولان كان نفعهم الينا واصلاً . وقد يُراد ايضاً ان العين اليمنى هي العقل وباليد اليمنى يُراد بها الارادة . والعين الشمال هي حسّ الجسد وباليد الشمال هي ميله . والحال انه يجب ان يرتد العقل والارادة عن كل ما يلهي ويضر . ان يكف الميل والجسد عن الشهوات اللحمية . وقد يُراد بالعين اليمنى واليد اليمنى هنا على ظاهرهما وهو الاصحّ . الا انهما اجابهم سيدنا بمنزلة مثل . وتفسيرهما تمثيلي لاتصال المثل هنا بهما. ويشير المسيح به الى شهوة النظر السابق ذكرها لانه تعالى هنا يتلافى اعتراضا مقدرًا كأنه يقول : قد يقول لي قايل اذا كانت العين تجنح بي الى نظر شهواني فالآن ماذا اصنع بها . والحال ان الله اعطانيها لانظر بها . وهذا المثل مأخوذ عن الجراح ايضاً . فكأنه يقول كما ان الجرّاح يهتمّ في قطع الاعضا. الشريفة والضرورية جدًا كالعين اليمنى واليد اليمنى . اذ تعلق بها خلاص الجسد كله . كذلك انا انبهكم يا ايها المومنون بي بانه يجب عليكم بان تقبلوا اية مصيبة كانت ولا ان تقبلوا الخطية والنفاق . لاسيما المميت اي انكم تطرحون عنكم كلما كان عثرة لكم ويجتذبكم الى الخطية . واذا لم يمكنكم الهرب منها بغير طريق فاقطعوا يدكم واقلعوا عينكم لانه خير لكم ان تدخلوا الملكوت بعين واحدة من ان تدخلوا جهنم بعينين . ولكن لمّا امكن التجنب من الخطية بطريق آخر فما جاز قطع الاعضا. فمن ثمّ حين اخصى اوريجانوس نفسه لحفظ الطهارة فحرمته الكنيسة وهكذا وجب على كل احد قطع شهواته واماتتها. ولو كانت مفروسة

في العين والجسد بل في النفس كلها ولذلك لا يمكن استيصالها الا باجتهاد جهد والم لا يوصف . ومن قطعها عنه يتقرب جدًا لتعذيبه وتألمه اذا قلعت عينه او درسه . ولا يعرف الامر الا من قد جرّبه وامتحن به . ولهذا السبب دعي هذا القلع اماتة . من كونه يولد وجعاً كوجع الموت . [×] هذه الاقوال مثل قوله من لا يقبل ملكوت الله مثل صبي لا يدخلها . وقوله قد سر ابيكم ان يعطيكم الملكوت الى اخره . وقوله ايضاً ان ملكوتي ليست من هذا العالم الى آخره . وكما قال حين اخذ الملك ورجع . وهلمّ جرًا مثل هذه الالفاظ .

اعلم يا هذا ها هذه الاربعة الاقسام المدعوة ملكوت . فان اخذتها كلها بمعنى واحد . يفوتك الغرض الذي تقصده لاختلاف المعاني فيها . انتهى .

والان نرجع الى قصدنا ومطلوبنا . اذا قد قررنا لفظة الملكوت التي علمناها سيدنا ان نطلبها . وهي لتأتي ملكوتك اي المعرفة التي هي في القسم الاول . اي لتأتي معرفتك الالهية الينا . فاذا ما طلبناها بروح الايمان النقي فحقاً يمنحناها . كما وهبها لسليمان الحكيم حين استاحها من الله حيث هو في هيكله المقدس قايلًا ربي والهي اعطني معرفة لاتدبر بها وادبر شعبك اسرائيل . فاستجاب الله صلاته . وملأه من روح الحكمة والفهم . شيء ما حصل عليه ولا يحصل لملك آخر لا من قبله ولا من بعده . فاعتبر يا هذا شرف هذه المعرفة . بنا ان الاشياء كلها والامور جميعها تابعة بها . واناس كثير من الكاملين لقبوها بالملكوت وسطروها في مصنفاتهم كاوغريس [Evagre] وغيره من الفاضلين . وليكن عندك محققاً انك ان لم تعرف اختياره ورضاه فلم تستطع ان تفعله . فسيدنا يسوع المسيح لنّا بقلة معرفتنا اختياره ورضاه . سبق فعلمنا ان نطلب من ابينا المعرفة الالهية . لنعرف اختياره فنكمله . وبوساطة هذه المعرفة ترخي عنا جميع المعارف التي تقاومها . ونحن نتدبّر بها تدبيرًا حسناً . واذا عرفنا ما يريد نفعل اختياره ورضاه ونغلب بها جميع مكايد الثلاب . وبها اي بهذه المعرفة يظهر لنا مكر الغشوش وينفضح امامنا ويشتهر خبثه الردي وحيل عدونا ومهازيه تولّى عنا . فارّة منا ومطرودة امامنا كما ينطرد الظلام من امام النور . وجميع افعاله المغشوشة تتلاشى وتضمحل كما يضمحلّ الشمع من قدام النار . فيا لشرف هذه المعرفة الروحانية ما اعلى سلطانيا من حيث اتنا بها

تسلطنا على جميع اعدائنا الغير المنظورين الذين ياذوننا وبها نتسلط على كل شيء الموافق لنا والغير موافقنا . يا لهذا السلاح القوي التي اعطاناه ابونا لنتسلح بها امام اعدانا كما هو لايق بابناء الملك السماوي . وان اهملنا نحن هذا السلاح فيتغيّر ابونا بتركنا سلاحه . الذي هو سلحنا به . فاذا ما شعروا اعدانا بنا باننا خالين من آلة قتاله المنيع التي هي المعرفة الروحانية والفضايل الكاملة يتسلطوا علينا ويقهرونا . واذا ما قهرونا البسونا سلاحهم . الذي هو الحيل والمكر وخبث الغاشين . فنتدبّر بهم الى حين الممات واخيرًا يبطلون ويضمحلون كما يضمحل نسيج العنكبوت . ومن ادنى ريح يهب فيتلاشا مضمحلًا كما قيل ان الحيل [××] المكره لا يثبتون امام الرب . عاد بالضرورة الواجبة . ومن يابى اللياقة اللازمة الا تتاهل ونتوانا في طلب هذه المعرفة . من حيث لها كذا منافع وبوساطتها نملك هكذا سلطان فلا نملّ من استماحنا اياها . لكي ابينا السماوي ينحناها ولا يجب لنا ان نطلب منه شيء آخر ما عداها . وان طلبنا منه شيء فلا يسرّ بنا ابونا . لكون طلبنا القليل وتركنا الكثير . فهو عدم نظام لاننا اذا طلبنا هذه المعرفة الروحانية . ننال الخيرات الزمنية التي هي الواسطة العظيمة لنيلنا الخلاص الابدي . لان بوساطة هذه المعرفة نصنع ما يرضي ابونا السماوي. واذا صنعنا رضاه وفعلنا اختياره فهو ايضاً يغفر خطايانا ويعفو عن ذللنا ويصفح عن نقايصنا. ولا يذكر لنا هفواتنا ويهبنا الخلاص الابدي. وان طلبنا ما عداها فتكون طلبنا الغير النافع لنا وربما يكون مضرًا لنا . والنافع لنا تركناه ذلك الذي يختص لخلاص نفسنا . ولان النفس تحتاج الى نعمة الله اكثر من احتياج الجسد الى القوت . لان اعداء النفس يكادوا الا يحصوا لكثرتهم . فلهذا تحتاج الى المعرفة الالهية . لتتنوّر بها . وبوساطتها تُعان من الاب السماوي لتقاوم اعدائها . لكون الاعداء يفاجونها ظاهرًا وباطناً . فحينئذ هي محتاجة لمعونة ابيها.

اناشدكم الله يا ايها الشعب المسيحي ان لا تخالفوا تعليم ربنا ومخلصنا يسوع المسيح . وتخونوا ذواتكم لكون مطمنا الالهي يعلم بضعفنا وقصر همتنا وقلة استطاعتنا عن محاربتنا اعدائنا . لكونهم اعدا قساة مرّين ليس فيهم شفقة علينا . لكوننا نروم ان نرث مرتبتهم ونملك مكانهم ذلك الذي هو عالي عن

العقول البشرية . وناهيك يا اخي القربى الى العظمة الالهيـة . فكيف يا اخي يسوغ بعقلك ان تملك مكاناً ليس لك . بل انه كان لأناس اقوى منك قدرة وسلطة . بغير اعانة اناس ذوي قوة واقتدار . بالأقل تضاهي قوة مالكيته بل وازيد من اقتدارهم والى كم من الاتعاب والمعـاناة تكابد وتصرف عنايتك بجملتها على من يحميك باعانته لتملك ذلك المكان . وبعد هذا العنا الشديد ايضاً امتلاكك اياه ليس هو معلوماً بل تحت الريب والشك . فاذا كان هذا لازماً بالتصرف العالمي الزايل هكذا ممتنع ان يكون . فما ظنك بذلك المكان الشريف البهيج الذي يعلو فرحه ومجده علوًا غير متناهي بهذا المقدار . حتى انه رب المجد والعظمة العالية لمحبته فيك يا ايهـا الانسان تنازل عن علوّ شأنه . ورضي لذاته الشريفة ان يحجب اقنومه الالهي بصورتك كقول الرسول وكابد اتعاب واحتمل شدايدًا وعانا امورًا شاقة وصابر آلاماً مبرحة وجاهد جهادًا غير مطاق . حتى انه يجاهده هذا الذي تقصر عن مكابدته جميع الأبطال الباسلين في المعارك . وجملة تغني عن التفصيل مات مصلوباً مفرقاً بدمه الكريم . ولا حاجة لان اصف لك لان هذا شيء معلوماً عندك . ان دم السيد بل دم الاله نفسه ليس هو كدم العبد . بل تبعد موازاته بعدًا غير متناهي . حتى انه احماك وانقذك وخلصك وورثك ذاك المقام السعيد . وتلك المرتبة العالية الشريفة ولعله تعالى بضعتك وقصر قوتك عن مثل هذه المجاهدة . ومن محبته فيك منحك تعليماً شريفاً خفيفاً لطيفاً هيناً سهلاً . لان دائماً تتهجا به وتتلوه من كل قلبك على المدا . وتطلب من ابيك السماوي ان يمنحك ملكوته اي معرفته الالهية لتتدرب فيها ويعينك في جهادك ويخلصك من قتاله . لان يا اخي قتالنا ليس هو مع ذوي لحم ودم بل هو مع الروسا . وسلاطين الظلمة كقول الرسول : فاذا كان حربنا مع هكذا اعدا مرّين افما نطلب من ابينا السماوي ان يعيننا حتى النفس الاخير على قتالنا معهم . لان طلبتنا من ابينا هذا ليس انه يعيننا في حربنا فقط . بل انه بهذه الطلبة يزيد في نمونا الروحي اذا طلبناها لمجد اسمه الاعظم . ولمطابقة ارادته الالهية . وطلبنا هذا منه يكون بتذلل وخشوع ابني لكي بهذا نستعطفه لان يحنوا علينا . كابن موثوق لابيه يستغيثه ان يمنحه ابوه مـا يرضاه فليفعله . فيبتدي ابوه في ان يدربه شيئاً فشيئاً بالذي يختاره ان يفعل ابنه .

فمن ثمّ يتعلم الابن رويداً رويداً لان يصنع ما يختاره ابيه بالكمال . فحين يراه اباه ان ابنه فاعل كارادته في كل شيء ودون اختياره لا يفعل شيء. فحينئذ يأتمنه على جميع ماله . ونحن ايضاً نكون كذلك . ان لا نفعل شيء يضاد ارادة ابينا السماوي . لكي اذا رآنا فاعلين مشيته واختياره ورضاه مداومين طلبنا هذا اليه باتضاع وخشوع . في انه هو يدربنا ويدبرنا ويعلمنا ويرينا معرفة جميع ما يضرنا ويؤذينا لنبتعد عنه . ويثقفنا كاختياره بالذي يصلح لنا وينفعنا لنكمل رضاه في كل شيء. فيلزم انه يتحنا الخلاص بواسطة معرفته الذي يتحناها . وبعدما علمنا ان نطلب ملكوته اي معرفته ان نأتي لمولنا علمنا بقوله لتكن مشيتك كما في السماء .

فانظر يا اخي كيف يعلمنا معلمنا الالهي سيدنا يسوع المسيح كيف انه يريد منا ان نكمل مشية الآب اي اختياره الذي اختاره في السما على الارض فلا عاد يجب لنا ان نفعل شيء ما ضد ما شاء به ابونا في السما ورضي ان نفعله نحن على الارض . بل دائماً يكون فعلنا ارادة ابونا في السماء . ففي الارض نتممه ومن لم يفعله لن تشابه نفسي يقول الرب فوجب علينا اذاً الا يكون لنا ارادة دون ارادة ابينا السماوي جلّ وعلا . اعلم يا هذا انه بمقدار ما تكون ارادته فينا كاملة بمقدار ذلك تنتشر معرفته فينا . اي بمقدار ما نكون فاعلين اختياره الذي شاء به في السما. وعلى الارض مكملية . بمقدار ذلك تنتشر ملكوته فينا. اي معرفته الالهية لمساعدتنا وبذلك يخضع الكثيرون له بارادتهم من كونه لا يوجد [×] لله تعالى الاعظم ولا ملكوت اي معرفة اوسع من ان كل شيء يخضع لاختياره اي مشيته. وانما في الكل تكمل .

ومشيئة الله على نوعين احدهما مشية الرضا وتدعى المطلقة وبها يريد الله على الاطلاق ان يتم كلما يريده .

(له صلة)